

الناشر
مكتبة صفير

الإسراء والمعراج

عبد الحميد هورده السحار

مطبعة خان مكتبة مصر

الإسراء والمعراج

عبد المحيد جوده السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صديقي - البغالة

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

لم يكثر المحدثون في حديث كما فعلوا في حديث الإسراء ، ولم يتركوا الأئمة لأخيبتهم في حديث آخر مثلما أطلقوها في هذا الحديث . فرحلة السماء قد استهوت أهل الأرض وحركت الخيال ليتصور ما يشاء من الأعاجيب ، ولما كان علم ذلك الزمان محدودا عن الكون والفضاء والسموات العلى ، فلم تستطع علومهم أن تمد أخيلتهم إلا ببعض ما لمسوه في حياتهم وما تمتته عقولهم التي كانت ترى أن النعيم أنهار وظل ظليل ، وأن وسيلة الانتقال بين الأرض والسماء لا يمكن أن تكون غير دابة فوق الحمار ودون البغل تسير بسرعة البرق ، وقد عبروا عنها بالبراق يضع حوافره عند منتهى طرفه . ولم يستطيعوا أن يتصوروا السماوات غير تصورهم للأرض فجعلوها أبوابا تدق . ولما كانوا في الغالب تجارا فقد جعلوا لله سبحانه وتعالى بعض صفة التجار يقبل الفصال في فريضة قد فرضها قالوا : إن الله جل شأنه قد فرض على المسلمين خمسين صلاة كل يوم ، وإن موسى عليه السلام قال للنبي — ﷺ — إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك : فرجع الرسول عليه السلام فوضع الله عنه عشرا . فرجع إلى موسى فنصحه أن يرجع إلى ربه يسأله التخفيف فوضع

عنه عشرا . وظل يغدو ويروح بين ربه وبين موسى حتى أمر بخمس صلوات كل يوم ثوابها خمسين . فقال له موسى : إن أمتك لا تستطيع الخمس صلوات كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فقال محمد ﷺ : سألت ربي حتى استحيت ، ولكن أرضى وأسلم . فنفذت فنادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادى .

وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وأبى لیلی الأنصارين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء بنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين . منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره . وإن الفاحص لهذه الأحاديث يجد في يسر أن هناك حقيقة أضيفت إليها إضافات كثيرة بعضها ذكى وبعضها منكر وغريب ، فالحقيقة قد جاءت في القرآن واضحة لا لبس فيها :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١) ،

﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد

رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى
السدرة ما يغشى * ما زاع البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه
الكبرى ﴿١﴾ . وحول هذه الحقيقة نسجت روايات وأقاصيص تزعم أن
رسول الله — ﷺ — قد رواها . وقبل أن أناقش ما جاء في أحاديث
الإسراء سأحاول على قدر الإمكان أن أسرد الحديث في تتابع ، وأن أدخل
أحاديث الرواة بعضهم في بعض وأن أسقط الخلافات الطفيفة .

قيل إن رسول الله — ﷺ — قال بعد أن قص قصة شق صدره ثم
غسله بماء زمزم . ثم صب الحكمة من طست من ذهب في قلبه :

— بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فهمزني
بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ، فجاءني الثانية فهمزني
بقدمه فجلست فلم أر شيئا ، فعدت لمضجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني
بقدمه فجلست فلم أر شيئا فأخذ بعضدى فقممت معه ، فخرج لى إلى
باب المسجد فأتيت بالبراق وهو دابة ، أبيض فوق الحمار ودون البغل ،
مضطرب (طويل) الأذنين وكان مسرجا ملجما ، يضع حافره عند
منتهى طرفه ، فلما دنوت منه استصعب ومنع ظهره أن يُركب فقال
جبريل :

— اسكن ، فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد .

فركبته ثم سرت وجبريل لا يفارقنى ، فإذا بعجز على جانب الطريق
قللت :

— ما هذه يا جبريل ؟

قال :

— سر يا محمد .

فسرت ما شاء الله أن أسير ، فإذا شيء يدعوني متنحيا عن الطريق فقال :

— هلم يا محمد .

فقال لي جبريل :

— سر يا محمد .

فسرت ما شاء الله أن أسير ، فلقينى خلق من خلق الله فقالوا :
— السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر .

فقال لي جبريل :

— اردد السلام يا محمد .

ثم انتهيت إلى بيت المقدس فأوثقته (البراق) بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت به ركعتين ، ثم قال لي جبريل :
— أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز . أما الذى أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

واستويينا فى صراحة المسجد فقال جبريل :

— يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟

فقلت :

— نعم .

فقال :

— فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن .

وكن جلوسا عن يسار الصخرة فأتيتهن فسلمت عليهن ، فرددن على

— ٥ —

السلام فقلت :

— من أنتن ؟

فقلن :

— نحن خيرات حسان ، نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ،

ثم أتاني جبريل عليه السلام بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن ، فشربت اللبن وأبیت الخمر فقال جبريل :

— أصبت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير . ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة فقمنا صفوفنا ننظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل :

— يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟

قلت :

— لا .

قال :

— صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل .

ثم أتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء ، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج . أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء فإِنما يشق بصره طامحا إلى السماء عجبه بالمعراج ؟ فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك . فاستفتح جبريل باب السماء ،
قيل :

— من هذا ؟

— ٦ —

قال :

— جبريل

قيل :

— ومن معك ؟

قال :

— محمد .

قيل :

— أو قد بعث إليه ؟

قال :

— نعم .

فإذا أنا بآدم كهيمته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول :

— روح طيبة ونفس طيبة ، اجعلوها في عليين .

ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول :

— روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين .

فمضيت هنية فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها . قلت :

— يا جبريل ، من هؤلاء ؟

قال :

— هؤلاء من أمتك يأكلون الحرام ويتركون الحلال .

ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم . فسمعتهم يضجون إلى الله

عز وجل فقلت :

— من هؤلاء يا جبريل .

قال :

— هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ (١) .

ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتن يضجعجن إلى الله عز وجل قلت :

— يا جبريل من هؤلاء النساء ؟

قال :

— هؤلاء اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن .

ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، فيقول اللهم لا تقم الساعة . وهم على سابلة آل فرعون فتجىء السابلة فتطوهم . فسمعتهم يضجعون إلى الله فقلت :

— يا جبريل من هؤلاء ؟

قال :

— هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (٢) .

ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه . فقال له : كل كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت :

— يا جبريل من هؤلاء ؟

قال :

— هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل
قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب . قلت :

— يا جبريل من هذا ؟

قال :

— هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه .

فسلمت عليه فرد على . ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فإذا أنا
بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما
وسلما على ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فإذا أنا بآدريس قد رفعه الله مكانا
عليها فسلمت عليه وسلم على . ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا أنا
بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرتة من
طولها قلت :

— يا جبريل من هذا ؟

قال :

— هذا المحبب في قومه . هذا هارون بن عمران ومعه . نفر من قومه ،

فسلمت عليه وسلم على . ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى
ابن عمران رجل آدم^(١) كثير الشعر لو كان عليه قميص لنفذ شعره دون
القميص ، فإذا هو يقول : يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا
أكرم على الله مني . قلت :

— يا جبريل من هذا ؟

قال :

(١) الرجل الآدم : الأسمر .

— هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه .
فسلمت عليه وسلم على . ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بأبينا
إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال ،
قلت :

— يا جبريل من هذا ؟

قال :

— هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه :
فسلمت عليه وسلم على . وإذا أنا بأمتي شطرين : شطر عليهم ثياب
بيض كأنها القراطيس وشرط عليهم ثياب رمد .

فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب
الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير ، فصليت أنا ومن معي
في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي .

والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى
يوم القيامة . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه
الامة . وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسيل . فينشق منها نهران أحدهما
الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة . فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي
وما تأخر . ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية قلت :

— لمن أنت يا جارية ؟

قالت :

— لزيد بن حارثة .

وإذا بأنيار من ماء غير آسن وأنيار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من نحر
لذة للشاربين وأنهار من غسل مصفى . وإذا رمانها كالدلاء عظما . وإذا

بطيرها كأنها يختكم^(١) هذه .

إن الله تعالى أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم عرجت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها . ثم أغلقت دوى . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . وفرضت على خمسون صلاة وقال :

— لك بكل حسنة عشر ، فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشرا . وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء ، فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة . ثم رجعت إلى موسى فقال :

— بم أمرك ربك ؟

فقلت :

— بخمسين صلاة .

قال :

— ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر .

فرجعت إلى ربي فقلت :

— يا رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم .

فوضع عنى عشرا وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه ، فقال لي :

— بم أمرت ؟

(١) البخت : الإبل .

— ١١ —

فقلت :

— أمرت بعشر صلوات .

قال :

— ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

فرجعت إلى ربي فقلت :

— أى ربي خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم .

فوضع عني خمسا وجعلها خمسا ، فنادى ملك عندها : تمت
فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشرا من أمثالها .
ثم رجعت إلى موسى فقال :

— بم أمرت ؟

فقلت :

— بخمس صلوات .

قال :

— ارجع إلى ربك فإنه لا يؤوده شيء فاسأله التخفيف لأمتك .

فقلت :

— رجعت إلى ربي حتى استحييت .

واجتمع بالأنبياء مرة أخرى في بيت المقدس وصلى بهم فيه . ثم إنه
ركب البراق وكر راجعا إلى مكة .

وقيل إن الرسول عليه السلام قال : « لما كان ليلة أسرى بي فأصبحت
بمكة ، فظنعت وعرفت أن الناس مكذبى » . فقعد معتزلا حزينا فمر به أبو
جهل فجاء حتى جلس إليه فقال كالمستهزى ؟ :

— هل كان من شيء ؟

— نعم .

— وما هو ؟

— إلى أسرى في الليلة .

— إلى أين ؟

— إلى بيت المقدس .

— ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟

— نعم .

فقال أبو جهل :

— يا معشر بني كعب بن لؤى .

فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال :

— حدث قومك بما حدثتني .

وحدثهم عليه السلام بحديث الإسراء ، وقيل إن الرسول عليه السلام

قال لما قالوا له :

— وتستطيع أن تنعت لنا المسجد :

— فما زلت أنعته حتى التبس بعض النعت . فجىء بالمسجد وأنا أنظر

إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه .

فقال القوم :

— أما النعت فوالله لقد أصاب فيه .

وقيل إن رسول الله — ﷺ — قال : « فأخبرتهم بغير لقريش لما

كنت في مصعدى رأيته في مكان كذا وكذا وأنها نفرت . فلما رجعت

وجدتها عند العقبة وأخبرتهم بكل رجل وبغير ، كذا وكذا ومتاعه كذا

وكذا » .

وقال أبو ذر : سألت رسول الله — ﷺ — هل رأيت ربك ؟ قال :

« نور إني أراه » .

هذه خلاصة أحاديث الإسراء صحيحة وحسنا وضعيفها ، وقد

جمع الذهبى أحاديث الإسراء فى جزأين . وقبل أن أناقش هذه الأحاديث سأثبت ما قاله ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم قال :

« وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ — من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام . ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسرآت متعددة ، فقد أبعد وأغرب^(١) ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب .

وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشىء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جدا ولم ينقل هذا عن أحد من السلف . ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبى ﷺ — به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار .

قال موسى بن عقبة الزهرى : « كان الإسراء قبل الهجرة بسنة » ، وكذا قال عروة وقال السدى : « بستة عشر شهرا والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرق فيها فصعد إلى السماء

(١) قال عبد الوهاب الشعرانى إنه أسرى بالنبى ﷺ أكثر من ثلاثين مرة بعدد أحاديث الإسراء ، فقد جعل من كل رواية خالفت الأخرى مرة .

الدنيا ، ثم إلى بقية السماوات السبع فتلقاه في كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتها حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما عليهما السلام عليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى وغشيتها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستائة جناح ، ورأى رفرفا أنخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت العمور وإبراهيم الخليل باى الكعبة الأرضية مسندا ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية ، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هناك الصلوات الخمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها .

ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة . ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء . والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه . والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدا واحدا وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولا مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى . ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتماع به هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام ، وله في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم . وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن

والخمر أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقدام ، والله أعلم .
ثم اختلف الناس هل كان الإسراء بيدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين : فالأكثر من العلماء على أنه أسرى بيدنه وروحه يقظة لا مناما ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ ، رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعده يقظة لأنه عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (١) . فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم . وأيضا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد : وقد قال « أسرى بعبد ليلًا » : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » (٢) . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ — ليلة أسرى به . وقال تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (٣) . والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضا فإن حمل على البراق وإنما يكون هذا للبدن لا الروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب عليه . (انتهى كلام ابن كثير) .

وجد القصاص في الإسراء مادة خصبة لقصصهم فجزوا وراء شطحات الخيال ورووا مناكير وغرائب لا تثبت للنقد ، وإن المدقق في هذه الأحاديث التي نسبت ظلما إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه

(٢) الإسراء ٦٠ .

(١) الإسراء ١ .

(٣) النجم ١٧ .

ليرى بصمات أصابع اليهود الذين أسلموا أو الذين تظاهروا بالإسلام والكذابين من الرواة الذين يستهويهم كل غريب . أو الذين ينقلون عن التوراة والإنجيل بحسن نية حاسبين أن ذلك النقل يخدم الإسلام ، وما كانت أساطير الأولين تخدم الأديان .

زعموا أن الرسول عليه السلام قال : « فإذا أنا بآدم كهيته يوم خلقه الله عز وجل على صورته .. » فمن ذا الذى يصدق من المسلمين أن الرسول العظيم الذى نزه الله سبحانه وتعالى عن التشبيه يقول مثل هذا الزعم ؟ إن القول بأن الله خلق آدم على صورته لم يقل به الإسلام بل جاء هذا الزعم فى التوراة التى كتبت فى بابل بعد أن حرق بمختصر كل نسخ التوراة !

وقالوا : إن الله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين خمسين صلاة وأن موسى عليه السلام كان يقول له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فما زال محمد عليه السلام يختلف بين موسى وربه حتى جعلها الله خمسا وأعطى بكل حسنة عشرة من أمثالها . فلماذا موسى عليه السلام بالذات ، أما كان إبراهيم الخليل أبو الأنبياء جميعا ، إبراهيم الذى وفى أولى بذلك ؟ لو أن ذلك الزعم قد حصل ، أو يمكن أن يتصور ذولب رشيد أن مثل ذلك الحوار الذى لا يمكن أن يقوم إلا بين تجار مشاكسين يدور بين رب العزة وبين رسوله ؟!

والآية الكبرى على أن اليهود الذين أسلموا والذين كانوا ينقلون من التوراة والإنجيل بحسن نية أو بسوء قصد قد وضعوا أحاديث الإسرائاء أو عبثوا بها ، إنهم اقتفوا فى كل ما قالوا آثار رؤيا يوحنا اللاهوتى التى جاءت فى آخر الأناجيل . وسأنقل لك بعض فقرات منها لترى أن النبع واحد وأن واضعى أحاديث الإسرائاء وإن رفعوها إلى صحابة رسول الله ﷺ ، قد

كذبوا على الرسول عليه السلام ، ورووا مناكير وغرائب وأكاذيب .
جاء في الإصحاح الرابع من رؤيا يوحنا اللاهوتي : « بعد هذا نظرت
إذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معي
قائلا :

— اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا . وللوقت سرت في
الروح ، وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس ، وكان
الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في
المنظر شبه الزمرد . وحول العرش أربعة وعشرون عرشا ، ورأيت على
العرش أربعة وعشرين شيخا جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى
رعوسهم أكاليل الذهب . ومن العرش يخرج بروق وعود وأصوات .
وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله . وقدام العرش
بحر زجاج شبه البللور . وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات
مملوءة عيون من قدام ومن وراء . والحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثانى
شبه عجل والحيوان الثالث له وجه لإنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر .
والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها من داخلها مملوءة
عيونا ولا تزال نهارا وليلا قائلة : قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر
على كل شيء ، الذى كان والكائن والذى يأتى . وحينما تعطى الحيوانات
مجدا وكرامة وشكرا للجالس على العرش الحى إلى أبد الآبدين ، يخر
الأربعة والعشرون شيخا قدام الجالس على العرش ويسجدون للحى إلى أبد
الآبدين ، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين : أنت مستحق أيها الرب
أن تأخذ المجد والكرامة والقدوة ، لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى
بإرادتك كائنة وخلقت » .

كان قصاص أحداث الإسراء يسرون على نهج رؤيا يوحنا اللاهوتي ،

وكانوا يحاولون أن يجسدوا بعض آيات القرآن بأحداث تجري في السماء
فصوروا الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما في صورة بشعة واستشهدوا
بآية ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا﴾ (١) . ولم يزعجهم في قليل ولا كثير أن هذه الآية لم
تنزل إلا في المدينة بعد الإسراء بسنين !

وصوروا الذين يأكلون الربا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض
أحدهم خر ، وجعلوا جبريل عليه السلام يتلو : ﴿الذين يأكلون الربا لا
يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (٢) . كأنما جبريل لا
يعلم أن هذه الآية لم تكن قد نزلت بعد وأنها ستنزل في المدينة بعد
الإسراء بسنين !

قد يقول قائل ممن يستهويهم الجدل : إن جبريل كان على علم بأمر
الكتاب فقال ما قال قبل أن تنزل هذه الآيات على الرسول عليه السلام ،
والرد بسيط : فلو أنه قالها حقًا لكانت مكينة لا مدنية ولوجب على الرسول
صلوات الله وسلامه عليه تلاوتها على المؤمنين ، وما حدث شيء من هذا
ولا قال به قائل حتى الذين يفترون على الله الكذب .

ولم يعرف هؤلاء الرواة من أنهار الدنيا غير النيل والفرات ، وكذلك
كان حال يوحنا اللاهوتي . أما من أنهار الآخرة فلم يذكروا إلا الكوثر وقد
أخذوا ذلك عن القرآن .

وتصوروا أن للسماء أبوابا كما تصور يوحنا اللاهوتي . وقالوا إن
المعراج كالسلم له درج يصعد فيها . وقد أخذوا هذه الفكرة عن حلم
يعقوب في التوراة فقد رأى في الحلم أنه يصعد إلى السماء في سلم ، وأن

الملائكة تهبط من السماء في ذلك السلم . وقد أتعّبهم فأتعبوا الذين جاءوا من بعدهم أنهم كانوا يحاولون أن يصفروا أشياء غير حسية بحواسهم البشرية القاصرة عن إدراك حقائق الكون وبقليل مما اكتسبوا من العلم . فلو عرفوا أن المادة الصلبة مجرد كهارب في رتبة اهتزاز معينة لما خدعهم حقيقة المادة الصلبة التي تشبثوا بها في الإسراء على البراق والمعراج على السلم ، لأنهم أن يتصوروا إمكان الإسراء بلا مطية والصعود إلى السماء بلا سلم .

إن آية الإسراء لم تذكر أنه كان محمولا على شيء ، إنه كان يسبح في الفضاء بقدرة الله التي لا تحد بعد أن أصبح حقيقة كونية في غير حالتها الأرضية الناقصة ، فإن كان قد قيل إنه ركب البراق فقد يكون المقصود البرق أو أية قوة كهربية . ولا يمكن في حالة إسراء الله عبده أن تجري أحكام الحواس ولا أحكام المادة .

وقيل في حكمة ركوب البراق مع أن الله قادر على أن يطوى الأرض له طيا : إن ذلك كان تأنيسا له بالعادة في مقام خرق العادة ، لأن العادة جرت أن الملك إذا استدعى من يختص به بعث إليه بمركب سنى يحمل إليه في وفادته إليه ، فعامله الله تعالى بذلك تأنيسا له وتعظيما .

وأقول أين استقبال ملوك الأرض للوافدين عليهم من استقبال ملك الملوك لرسوله ؟ فإذا كان ملوك الأرض يبعثون بعثات الشرف لاستقبال زائريهم وطيارات لتحتيهم في الجو ، أفبعث الملك الجبار تأنيسا لرسوله وتعظيما دابة فوق الحمار ودون البغل ؟ وإذا أراد أن يعرج به إلى السماء ليريه من آياته الكبرى أقيم له سلما يصعد فيه ، ومن حولنا ٣٠٠ بليون سلم تحيط بنا من كل جانب هي الذبذبات التي أصبحت معروفة في

الطبيعة (١) ١٢.

وقد أظهر المنكرون للإسراء دهشتهم من ذهاب الرسول عليه السلام إلى بيت المقدس وعودته إلى مكة في ليلة واحدة . وهنا نقف قليلا لنسأل : ما الزمن ؟ إننا إذا تخلصنا من هذه الأرض المادية واحتللنا مكانا مستقلا لا يربطنا بجاذبيتها ولا بقوانينها سوف لا نشعر بالزمن الذى تعودنا عليه ، ولا يصبح للعمر أو للفناء لدينا أى معنى . إننا عندئذ لا نعرف سوى — اللازم — أى الخلود — لا ماض ولا مستقبل ولكن الحاضر وحده هو الذى نعيش فيه (٢) .

ويقول أينشتين واضع نظرية النسبية : إنه ليس للزمن من حقيقة قائمة بذاتها وأنه من خواص المادة ، وإن المستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضى ، ففي كل لحظة نحن نقتطع من المستقبل جزءا نضمه إلى الماضى فلا ينقص هذا ولا يزيد ذلك لأن كلا منهما لا نهائى وإن المستقبل يلتف على شكل دائرة وبذا يدخل فى الماضى إذ الدائرة علامة أبدية .

وبحسب نظرية النسبية تكون الظواهر التى تمر بنا بسرعة الضوء هى تلك التى اعتدنا أن نسميها إشعاعا أما الأحداث المجسمة التى تسير ببطء شديد فقد اعتدنا أن نسميها مادة ، أو بحسب تعبير أينشتين أن المادة هى عقل أو فراغ أو فضاء نقصت سرعته عن السرعة الطبيعية للضوء وهى ١٨٦ ألف ميل فى الثانية . ولو أن هذه المادة عادة تتذبذب بسرعة الضوء لاخفت ولم تعد تدركها حواسنا . فنحن إذا أمسكنا فى يدينا بقطعة من

(١) الإنسان روح لا جسد . للدكتور رعوف عبيد .

(٢) أسرار الكون . نقله إلى العربية الدكتور سيد رمضان هدارة .

الحديد شعرنا بصلابتها ولكنها في الواقع ليست صلبة ، وكل ما حدث هو أن حاسة اللمس قد تأثرت باهتزاز الألكترونات فشعرنا بصلابتها كما نشعر بنفس الكيفية بحرارتها أو ببرودتها ، فننقل حواسنا أو عقولنا صورة الحديد وحرارته أو برودته . ونفس القول يصدق على جميع عناصر العالم الذى نعيش فيه والذى يبدو لنا صلبا ولا هو بصلب ولا مادي .

ولذا يتساءل المرحوم الدكتور مشرفة وهو بصدد شرح نظرية النسبية : كيف تبدو الأشياء لراصد يسير بسرعة الضوء ؟ ويجب بأن الإشعاع الذى يصاحب هذا الراصد جنبا إلى جنب يبدو له مادة صلبة . أما الأشياء المادية التى تمر به بسرعة الضوء فتكون إشعاعا .

فما رأى السادة الماديين الذين يحترمون حواسهم فى هذه الحقائق العلمية التى أثبتتها المعادلات الرياضية ؟ ويا ترى ما رأى القصاص الذين روى أن الرسول عليه السلام فى صعوده إلى بيت المقدس وفى عودته إلى مكة رأى قوافل قريش ، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوه يشرب من إناء كان على ظهر بعير فى قافلة ، فى هذه الحقائق المذهلة التى يحتويها الكون الذى خلقه بديع السماوات والأرض ؟

ولو كان القصاص الذين روى أحاديث الإسراء روايات مادية كل أدواتها دابة فوق الحمار ودون البغل وشجرة نبق وذهب ولؤلؤ ومرجان وياقوت ورغرف أخضر وأجنحة ملائكية وعسل وخمر ولبن يعرفون أنه إذا انطلق شعاع ضوئى فى الفضاء بسرعته العادية وهى ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية تقريبا فإنه يسير فى دائرة كونية ويعود إلى مكانه الأصلي بعد زمن يزيد قليلا على مائتى مليون سنة ضوئية^(١) . أما كانوا يخرجون من تصوير

(١) العالم وإينشتين : تأليف لينكولن باونت ترجمة الأستاذ محمد عاطف البرقوقي .

آيات الله الكبرى بشجرة أوراقها كآذان الفيلة أو الورقة منها تظل الخلق أو تكاد الورقة منها تغطي هذه الأمة ، وإذا ثمارها كالقلال أو بقباب اللؤلؤ أو بتراب المسك ١٩

ولم يجهد القصاص أنفسهم قليلا لما رواه أحاديث الإسراء ولم يستحوا من الله ورسوله فقالوا على لسان النبي — ﷺ : ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فصعدت أنا وجبريل ، فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أو قد بعث ؟ قال نعم . فلو صدقنا أن للسماء بابا وأن جبريل قد دقه وأن الملائكة قالت من هذا ؟ وأنها لم تعرف الطارق ولم تعرف الضيف الكريم الذي وفد عليهم من الأرض . أيمكن أن نصدق أن الملائكة أو خزنة الجنة أو خزنة النار لم تكن تعرف أن النبي عليه السلام قد بعث ؟ إن أهل الأرض قد سمعوا برسائله وإن نفرا من الجن قد آمنوا به . أو نصدق أن ملائكة الله لم يدروا بمبعثه ١٩ لو صدقنا القصاص في هذا لوجب علينا أن نلغي عقولنا أو نستخف بالملائكة ونرميهم بالجهل والغفلة !

ومن جرأة القصاص على الله تطوعهم لوصف سدرة المنتهى . فقالوا إنها شجرة يخرج منها النيل والفرات والكوثر وسيحان وجيحان ، أوراقها مثل آذان الفيول ، وأن الورقة الواحدة لو ظهرت لغطت هذه الدنيا ، وإذا ثمرها كالقلال (الواحدة تسع قربتين ونصفا) . وغشيتها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وأنوار متعددة وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ، مع أن سدرة المنتهى هي « سدرانا مولتاننا » النجم الأخير في المجموعة الكونية . وقد غشيه نور ربه . فليس في الكون حقيقة ثابتة إلا النور^(١) : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ ، ﴿ وأشرق الأرض

(١) إينشتين .

لقدرته ولا نهاية لعلمه ؟

وليت شعري بعد ذلك كله ، أى عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع ؟
أهل عقل الأفراد أم عقل الجماعات ؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول
وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت بين أفرادها مثل نوع الإنسان
الذى هو مظهر المتناقضات ومجمع العجائب والغرائب ؟ وقد خاطب الله
الخلق جميعا بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (١) . ويقول في
حق الإنسان : ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (٢) .

وإننا لنرى في تخبطه وتناقضه وارتبأكه في أحواله واضطرابه في أعماله
الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور .
فعلام تلك الكبرياء وهو من الضعف بحيث يرى له ويشفق عليه .

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلى الاستبعاد العقلي وقياس الغائب على
الشاهد وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا . والجاهل لا يعرف قدر نفسه
ولا قدر العلم ، ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه في دائرة العدم :
﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ (٣) .

ومن الغريب الذى يؤسف له أنهم إذا سمعوا أن بعض الأوروبيين يريد
الوصول إلى القمر ويفكر في إعداد العدة لذلك لم يتحرك منهم ساكن ، بل
ربما انتصروا لما سمعوا وقالو : إن العلم يلد العجائب والاكتشاف يأتى
بالغرائب ، ولكنهم إذا سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء قامت قيامتهم
وهدرت شقاشقهم وظهر كل ما في نفوسهم الضعيفة من خبت وإلحاد .
وستكلم معهم بما يخضعون له إذا سمعوه من ساداتهم الأوروبيين الذين

(٢) الأحزاب ٧٢ .

(١) الإسراء ٨٥ .

(٣) يونس ٣٩ .

لم يعلموا علمهم ولا أحسنوا محادثتهم .
أما الكلام في الجهة النقلية فأظنه لا يعنهم كثيرا ولا يقنعهم كثيرا أو قليلا ،
ومع هذا فسنقول فيه كلمة موجزة من أجل الفريق الثاني الذى ينتسب إلى
العلم ولا يمكنه الخروج عن الكتاب والسنة ، ولكنه يؤول ويحرف اغترارا
ببعض الروايات وإجابة لنزعة عنده وعقيدة لديه لا تبعد كثيرا عن عقيدة
الماديين ، وإن كان مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فنقول :
إن من قال : إن الإسراء بالروح تمسك ببعض روايات مطعون فيها
كرواية عائشة رضى الله عنها التى رواها الحفاظ وقالوا : إنها غير صحيحة
من وجوه عدة ، لا نطيل بها الكلام ، وكرواية شريك بن أبى نمر التى طعن
فيها الحفاظ بما يطول شرحه . وليس غرضنا إلا أن نشير إلى ذلك إشارة
خفيفة يعرفها ذلك الفريق من الشيوخ المتفقيهن . والعالم كل العالم من لا
يتأثر بكل ما رآه أو يهوش بكل ما روى ، بل العالم كل العالم من يعرف
المقبول والمردود والصحيح والضعيف ويجمع بين الروايات المختلفة إذا
أمكن الجمع ويرجع الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق . ولا
أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الإسراء كان بالروح بعد قول الله
تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١) .
فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت بسبحان المقر باستعظام ما
كان من الأمر والتعجب منه لجلاله ، وذلك اللفظ لا يصح موقعه ولا
يتناسب وبلاغة القرآن الحكيم إلا إذا كان الأمر غير معهود ولا مقدور
لأحد من البشر .

ولو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجب ، إذ لا خطورة في إراءة النبي عليه الصلاة والسلام آيات ربه في نومه ، فإن هذا أمر يقع لكل أحد ، بل يرى الإنسان في نومه رب العزة الذى هو أكبر من كل شيء . وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجب لو قلنا : إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح كما هو ظاهر لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم .

ثم تراه يقول « أسرى » وهو لا يقال فى النوم كما قال القاضى « عياض » لأن ما يقع فى النوم إنما هو تخيل وضرب مثل لا غير ، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به ، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا إسراء حسيا على ما هو معهود ومعروف .

ثم يقول « بعبد » وهو نص قاطع فى الموضوع ، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص المكون من الروح والجسد ، ولم يعهد فى لغة العرب إطلاقه على الروح فقط ، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور كما فى قوله تعالى : ﴿ أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ﴾ (١) . وقوله : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ (٢) إلى غير ذلك .

ثم يقول « لنريه من آياتنا » . ويقول فى سورة النجم : ﴿ أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (٣) .

(٢) الجن ١٩ .

(١) اقرأ ٩ ، ١٠ .

(٣) النجم ١٢ — ١٨ .

ولا شك عند من له ذوق سليم أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام أسرى به إلى بيت المقدس وأنه عرج به إلى السماوات العلا بجسمه وروحه ، وأنه رأى جبريل عند سدره المنتهى . وأنه أرى من آيات ربه الكبرى .

وإني أستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك أن تنظر معي إلى قوله : ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾ ثم قل لي بعد ذلك ماذا ترى ؟ أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدل كانا في رؤيا منامية ؟ وهل يكون في رؤيا الروح وحدها في النوم جحود ومجادلة ؟ وهل لذلك وقع عند القائل والسامع حتى تذكر فيه تلك الآيات وتحصل به تلك المجادلات وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم ؟ وهل عهد مثل ذلك في الرؤى المنامية ؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك حتى ينكروه عليه ﷺ ؟

لا شك أن منكرتهم ومجادلتهم ما كانت إلا لعلهم أنه يدعى أن ذلك كان يقظة لا نوما ، فهذا محل الاستبعاد والاستنكار ، لأنه غير معهود لديهم ولا هو في متناول قدرتهم .

أما أحلام الأرواح فيجوز أن تقع لكل امرئ حتى المشركين أنفسهم . وهل ينكر الله عليهم إنكارهم بقوله : « أفتمارونه على ما يرى ؟ » . ويقرعهم على مجادلتهم بالباطل ويقسم أن صاحبهم ما ضل وما غوى ويقول : إنه رأى ولا يليق أن تماروه فيما رآه . هل يكون كل ذلك لرؤيا منامية ؟ وهل يقول المنكر : إن رؤيا جبريل في المرة الأولى التي جاءت في الحديث الصحيح حين رآه — صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم — بحراء على صورته التي خلقه الله تعالى عليها قد سد الأفق ، كانت حلما أيضا ؟ أم يفرق بينهما والقرآن لم يفرق ، وجعل الرؤية في المرة الأخرى

عند سدرة المنتهى كالرؤية الأولى في الأرض .

وهل يقال ذلك إذا كانت إحدى الرؤيتين صادقة والأخرى حلما ؟
وهل يحسن أن تجعل الضمير في قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى »
لروح النبي دون جسده ، وتغاير بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر
العائدة على شخصه — صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم — لا على روحه
فقط ؟ وهل يسهل عليك أن تقول : إنها رؤيا منامية مع قوله تعالى : ﴿ ما
زاغ البصر وما طغى ﴾ ؟

وهل يقال في الرؤيا المنامية : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس ﴾ (١) ؟ .

ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد ؟ فإن كل إنسان يرى بروحه ما شاء
الله أن يرى من الكون ، فما وجه الافتتان وما معناه ؟

هذا بعض كلام فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، وقد قال المرحوم
مصطفى صادق الرافعى : إن المفسرين لم يلتفتوا إلى لفظ ﴿ طغى ﴾ في
قوله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ . فلو لم يكن البصر مقيدا في
جسد لطغى ولكن عدم طغيانه دليل على أنه كان محكوما بإرادات الجسد .
وقال صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج فيما قال عن
الإسراء :

« إن بعض الناس قد حاول — بحسن نية — أن يقرب إلى الأذهان
مسألة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بتلك السرعة الخاطفة التي لم
يعهدها أحد ، فقال : إن الإسراء بتلك السرعة بين هاتين البلدتين
المتباعدتين وقطع المسافات بينهما في فترة قصيرة جدا إذا كان عجيبا غريبا

قبل أن تستخدم قوة البخار وقبل أن تستحدث الطائرات العادية والطائرات النفاثة والصواريخ الموجهة فإنه يجب أن يعتقد وأن يسلم به من غير تردد بعد ظهور تلك المخترعات وتلك المستحدثات ، فإن المسافات البعيدة التي يحتاج في قطعها راكب البعير أو الفرس إلى ثلاثين وأربعين يوماً يمكن أن تقطعها الطائرات في بضع ساعات .

يريد أصحاب هذه المحاولات حسنو النية بهذا التقريب أن يضعوا واقعة الإسراء في المحل الذي لا غرابة فيه والذي يثبت التقدم العلمي وقوع نظائر له ومشابهات ، ليقنعوا — بصحة ذلك الإسراء وإمكان حصوله — أصحاب العلوم المادية الذين لا يسلمون إلا بما تلمسه أيديهم ويقع تحت أبصارهم وينخضع لتجارهم وقوانين علومهم في الحوادث والكائنات .

نية حسنة ومقاصد طيبة ولكنها تنطوى على شيء غير قليل من الغرارة وعدم التبصر في مجازاة الماديين الذين لا يؤمنون بمعجزات ، فإنه لا سبيل إلى التقريب أو الربط بين أمور هي من فعل الإنسان ، يقدر عليها بتفكيره واستنباطه ويتوصل إليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية ومعارف إنسانية ، وأمور أخرى لا دخل لقدرة الإنسان فيها وإنما هو مظهر كونها ومحل جريانها ، يخلقها الله فيه ويجريها على يديه ، كما قال تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(١) . فإن رمية واحدة بقبضة من الرمل أو الحصاء يصيب بها الرسول — ﷺ — عيون فريق كبير من الأعداء في غزوة بدر — حتى يكون ذلك من أسباب هزيمتهم واندحار جموعهم — ليس أمراً عادياً مما يكون في طاقة الإنسان . وإنما هو فعل الله الخالق لكل شيء القادر على كل شيء . القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

إنه مهما تقدمت العلوم وارتقت الصناعات ووجد من المخترعات ما يبلغ في غرابته وطرافته أضعاف أضعاف ما كشف عنه العلم الحديث الآن ، فإنه على كل حال يكون نوعا آخر غير نوع المعجزات التي يجريها الله على أيدي المختارين من رسله ، فإن هذه المعجزة ليست لها وسائل ومقدمات ولا أسباب وأدوات مما يدخل في مقدور العباد .

أما المخترعات الإنسانية فإنها لا بد أن تنبنى على قواعد وقوانين علمية ولا بد فيها من استخدام أجهزة وأدوات يتوصل فيها بالتحليل والتركيب وإحكام الصنع إلى ما يراد تكوينه من مخترعات ، فالطيران في السماء باستخدام الأجهزة والآلات البخارية وغيرها أمر بديع وعمل إنسانى عجيب ، ولكن له أسبابه ومقدماته العلمية التى يستطيع الطيران بها فى الجو كل من يعرفها ويعرف طريقة استخدامها فى ذلك .

أما الطيران من غير تلك الأسباب والمقدمات فليس فى مقدور أحد من الناس ، وعلى هذا الأساس يكون الفصل بين المعجزات وبين كل غريب عجيب من المبتكرات والمخترعات التى تنبنى على قوانين علمية وأفكار واستنباطات إنسانية » .

إن فضيلة الشيخ يوسف الدجوى وفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج يتحدثان عن الماديين الذين يحترمون حواسهم القاصرة عن اكتشاف ما فى الكون من عجائب ، وأحب أن أوضح هنا آخر ما وصل إليه العلم عن المادة التى يقدسها الماديون ، فلم تعد المادة حقيقة بل صارت غيبا لا يعلم حقيقتها إلا علام الغيوب . ومن سخرية القدر أن يصبح الماديون من المؤمنين بالغيب وإن كانوا يدرون أو لا يدرون !

إن الكشف الحديث عن طبيعة المادة الصلبة بوصفها مجرد أثر فى رتبة اهتزاز معينة نفى عنها نهائيا قدرتها على خلق الحياة والمحافظة عليها ، فبعد أن

كانت المادة تصلح لتعليل الحياة أصبحت هى نفسها بحاجة إلى التعليل ، وأصبح أقرب تعليل علمى للمادة هو تعليلها بالحياة . وهكذا انقلبت قضية التعليل رأسا على عقب وأصبح السبب نتيجة والنتيجة سببا .

أو بعبارة أخرى لقد تبين أن المادة لا تصلح لتعليل أى قانون من قوانين الحياة لأنها ليست أكثر من طاقة محبوسة ، ولأن كل المادة تمثل رغم ضآلتها المفرطة فى مجموع إلكتروناتها وبروتوناتها مجموعة شمسية كاملة متحركة لا يعوزها شيء ولا تختلف عن أية مجموعة شمسية يعرفها علم الفلك إلا من ناحيتى الأحجام والأبعاد . فمن هو يا ترى ذلك الذى حبس ذرات المادة طبقا لهذا النظام البديع الذى يحير العقول ؟ ومتى وكيف جرى ذلك ؟ . هذا هو الوضع العلمى الآن لسؤال تعليل المادة ، وإذا كان ثمت جواب فلن يكون إلا أن الحياة تعلل المادة أما المادة فلا تعلل الحياة بعد أن ثبت عجزها وقصورها حتى عن أن تعلل نفسها (١) .

وأختم مناقشة أحاديث الإسراء بأن أقول إن الإسراء كان بالجسد والروح ما فى ذلك شك . وأن الله سبحانه وتعالى قد أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام وأراه آياته الكبرى فى السماوات والعلل ، وأن الرسول — ﷺ — قد رأى سدرة المنتهى وقد غشيها نور الله ، وقد أوحى الله إليه الصلوات الخمس ، وقد انتهت الرحلة العجبية عند بيت المقدس ولو كانت قد تجاوزت المسجد الأقصى لذكر ذلك القرآن الكريم .

وأعتقد أن الرسول — ﷺ — لم يكثر من الحديث عن الإسراء وإن كان القصص قد رووا أحاديث عنه جمعها الذهبى فى مجلدين ، لأن العجائب التى رآها كانت فوق تصور رجال عصره بل لعلها تكون فوق

(١) الإنسان روح لا جسد . للدكتور رءوف عبيد .

تصور الناس في أى عصر ، فاتساع الكون الذى زاره غير محدود أو محدود ولكن قطره يقاس بيلابن السنين الضوئية .

إن الإسراء معجزة تفوق تصور عقول البشر في كل عصر ، فلا الطائرات ولا الصواريخ ولا أى من المخترعات الحديثة أو مخترعات المستقبل حتى يرث الله الأرض ومن عليها تستطيع أن تعطينا صورة صحيحة عن إسراء الله بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

أما ما يروى من أحاديث عن الإسراء فهى من اختراع القصاص ، وفي رأى أن أغلب هذه الأحاديث نتاج عقول تصورت ملكوت الله على قدر علمها ، وهى أول قصة أدبية إسلامية استوحيت من آيات الإسراء والنجم ، وقد اشترك في تأليفها أكثر من مؤلف ، وكانت مصدر إلهام أبى العلاء المعرى لما كتب رسالة الغفران ، وكانت رسالة الغفران وحى دانتى عندما كتب الكوميديا الإلهية « جحيم دانتى » .

للمؤلف

السيرة النبوية

محمد رسول الله والذين معه

فى ٢٠ جزءا

- | | | |
|----|-------------------------|-------------|
| ١ | — إبراهيم أبو الأنبياء | أكتوبر ١٩٦٥ |
| ٢ | — هاجر المصرية أم العرب | مارس ١٩٦٦ |
| ٣ | — بنو إسماعيل | سبتمبر ١٩٦٦ |
| ٤ | — العدنانيون | فبراير ١٩٦٧ |
| ٥ | — قریش | مايو ١٩٦٧ |
| ٦ | — مولد الرسول | يوليو ١٩٦٧ |
| ٧ | — اليتيم | أكتوبر ١٩٦٧ |
| ٨ | — خديجة بنت خويلد | يناير ١٩٦٨ |
| ٩ | — دعوة إبراهيم | مارس ١٩٦٨ |
| ١٠ | — عام الحزن | يونية ١٩٦٨ |
| ١١ | — الهجرة | سبتمبر ١٩٦٨ |
| ١٢ | — غزوة بدر | نوفمبر ١٩٦٨ |
| ١٣ | — غزوة أحد | يناير ١٩٦٩ |
| ١٤ | — غزوة الخندق | مايو ١٩٦٩ |
| ١٥ | — صلح الحديبية | يونيه ١٩٦٩ |
| ١٦ | — فتح مكة | نوفمبر ١٩٦٩ |
| ١٧ | — غزوة تبوك | فبراير ١٩٧٠ |
| ١٨ | — عام الوفود | مايو ١٩٧٠ |
| ١٩ | — حجة الوداع | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ٢٠ | — وفاة الرسول | ديسمبر ١٩٧٠ |

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الإيداع : ١٩٩٠/٧٧٣٤
الترقيم الدولي : 4 - 0624 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء



الثلثين ٧٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سميد جوده السحار وشركاه